الفصل التاسع

الموجز والخاتمة

obeikan.com

obeikan.com

ليس لطائفة الصابئة المندائيين تاريخ مدون، بسبب قِدمْ جذورها، ومرورها بمراحل زمنية مختلفة (دارات) بما فيها من نكبات وحروب، وتلف واحتراق وفقدان أغلب المدونات التاريخية، بسبب سكن أبناء الطائفة في بيوت مصنوعة من القصب والبردي السريعة الاشتعال، أو بسبب النزوح القسري من مناطق سكناهم، وهروبهم بسرعة خوفًا من الإبادة والقتل، تاركين خلفهم كل شيء، ولنا شواهد كثيرة في هذا الشأن... وكذلك بسبب عدم اهتمامهم بالحياة اليومية المادية بقدَر اهتمامهم بشؤونهم الدينية وأداء طقوسهم والمحافظة عليها، فالمندائيون أناسٌ مسالمون يبتعدون عن العنف والقتال قدر الإمكان، ولا يقابلون القوة بالقوة بحكم التعاليم الدينية الصارمة بعدم الاعتداء أو قتل النفس البشرية مهما تكن الأسباب... ولهذا كانوا كثيري التنقل والارتحال، يفتشون دائمًا عن الأمن والسلام ويبحثون عن أماكن آمنة قريبة من المياه الجارية العذبة مقرًا لسكناهم، فتعددتْ لهذا السبب أوطانهم، ولم يفكروا يومًا بإنشاء كيان سياسي لهم لهُ مواصفات الدولة، وما تحتاجه هذه الدولة من جيش وشرطة حتمًا ستتعامل مع جيرانها باستعمال القوة والقتال من أجل الدفاع عنها أو الهجوم لتوسيع نفوذها، وهذا يتعارض مع العقيدة الدينية المندائية، ولهذا عاش الصابئة في ظل الدول القوية، أو تحت حُكم حاكم عادل أمين قوي... ولهذا لم يتركوا آثار مادية أو تاريخية في أماكن سكناهم إلا القليل، أما المصادر التاريخية الوحيدة الباقية فهي الكتب الدينية، وأهمها كتاب (الكنزا ربا)، وتعاليم النبي يحيى بن زكريا، أما الكتاب التاريخي الوحيد الذي يتحدث عن هجرات المندائيين فهو كتاب حران كويثا، وهذا الكتاب شبه تاريخي مختلط بين الحقائق والأساطير، وفيه اضطراب في السرد، ونتف وإشارات حول تحرك المندائيين وهجراتهم ومعاناتهم.

إذا بحثنا عن الحقيقة فقد كان اسم الصابئة معروفًا لدى العرب في الحجاز، واليمن قبل الإسلام، وربما اختلطت الأسماء فكانت كلمة (الحنفاء) و(الأحناف) معروفة، وتُشير إليهم على أنهم أناس موحدون لا يُشركون ولا يعبدون الأصنام

والأوثان... وكما قلنا فإنَّ للصابئة المندائيين أسماء كثيرةً أطلقها عليهم مجاوروهم، والأحناف واحدٌ من هذه الأسماء، وكان أشهر الشخصيات من الأحناف عند ظهور الدعوة الإسلامية، هم: عمرو بن زيد بن نفيل، قيس بن ساعده، أمية بن الصلت، زهير بن أبي سلمى، ورقة بن نوفل. وغيرهم الكثير.

إن أصل الصابئة ومنشأهم هو وادي الرافدين منذ آلاف السنين، ولمَّا كان عددهُم كبيرًا، وتنقلاتهم مستمرة في منطقة الشرق الأوسط لغرض الاستقرار والتجارة والعمل عن طريق المهن اليدوية التي برعوا فيها عبر التاريخ؛ انتشر دينهم حتى وصل إلى مصر على يد الشيتيين (أبناء وأحفاد النبي شيتل)، وهناك من يقول حسب المصادر المندائية إن سفينة نوح قد رَستْ على قمة جبل قردون في شمال العراق قرب مدينة حران التاريخية، وأنشأوا هناك حضارة امتدت إلى عصر الدولة العباسية، وبرز فيها علماء وأدباء مثل ثابت بن قرة، أبي إسحاق الصابي، البتاني، وغيرهم الكثير... ومن مدينة حران هاجر الكثير من الصابئة إلى وسط وجنوب العراق، إلى مناطق المياه البهية، على ضفاف دجلة والفرات والكرخة والكارون، ومناطق أهوار الجنوب.

بينما آخرون يذكرون أنهم الأحناف الذين ظهرَ فيهم نبي الله إبراهيم الخليل الذي ولد في مدينة أور السومرية بين المندائيين، ودعا إلى مبدأ التوحيد الذي يؤمن به الصابئة المندائيون، ولكن اختلفوا معهُ عندما خُتِنَ لمرضٍ في غلفتهِ، كما أن النبي إبراهيم الخليل عليهِ السلام دعا إلى عبادة الخالق عبادةً خالصة دون أيّ وساطة حتى الملائكة النورانيين مثلاً، الذين يعتبرونهم الصابئة المندائيون مسبحين للحيّ العظيم ويأتمرون بأمرهِ.

ورأيٌ آخر يرجِّح أنهم بقايا السومريين عندما اشتدت عليهم الخطوب، اندفعوا إلى أعماق الأهوار بزوارقهم طلبًا للأمان والحياة بعيدًا عن القتال والصراعات، لأنهم لا يؤمنون بالقتال ولا يقرونه، ودينهم يأمرهم التمسك بالناصوراثا، أي الإيمان العميق، والصبر على الخطوب مهما اشتدت عليهم فبإيمانهم القوي، وطاعتهم لتعاليم الحيّ العظيم سيكون حارسهم وحاميهم وسَيدفع عنهم الظلم.

ولِقِدم هذه الطائفة تعدد أنبياء الصابئة المندائيين عبر تاريخ البشرية، وكما قلنا وكررنا أنهم يعتبرون أنفسهم جذر التوحيد الأول ، وأن آدم (ع) رأس السلالة البشرية ، وأول أنبيائهم ، وهو أول صابئي مندائي دعا إلى هذا الدين ، وأن الملاك المبجل منداهيي (جبرائيل الرسول) علمهُ التوحيد والوصايا والأسماء والإيمان ليكون مندائيًا مؤمناً ، وهو أول من نزلت عليهِ تعاليم كتاب (الكنز العظيم) وسموها (صحف آدم) ، ثم تتابعت هذه الصحف فنزلت على شيتل ، وسام، وإدريس، ويحيى بن زكريا (يهيا يوهانا) عليهم السلام.

كثير من الدراسات والبحوث المتنوعة تحدثت عن أصل الصابئة المندائيين ، ومنشأهم ، والمصادر الأساسية لهذه البحوث والدراسات اعتمدت على الكتب الدينية المندائية المكتوبة باللغة الآرامية المندائية، وقد تُرجمت أغلب هذه الكتب إلى اللغة العربية ، وبعض اللغات الحية الأخرى، وكذلك اعتمد بعض الباحثين على الآثار من اللقى والفخار ، والمقابر المكتشفة على مسارات الهجرة التي تكتشف بين الآونة والأخرى والتي تخص هذه الطائفة ، ولكنها غير كافية في الوقت الحالي للإجابة على جميع الأسئلة حول ما يخص تاريخ هذه الطائفة.

وبسبب عدم تدوين التاريخ المندائي؛ كثرت الاحتمالات وتعددت ، ولكون الكتب الدينية والشعائر والطقوس تهتم بالجانب الروحاني وتبتعد عن الجانب المادي ، لهذا تبقى كل الاحتمالات قائمة وخاضعة للدراسة والبحث والاجتهاد... وتبقى الآراء المختلفة بين أنهم من أصل رافديني أو فلسطيني ، أو مصري ، أو من حران ، أو غيرها من المناطق ، وهناك دلائل وشواهد ، ولكن أقوى الدلائل هي في بلاد ما بين النهرين ، وهناك من يجتهد من المؤرخين والمستشرقين فيقول إنهم كانوا في فلسطين ، وسكنوا قرب ضفاف نهر الأردن ، وفي حوض البحر الميت ، مع أقوام أخرى عديدة ، وكان نبي الله يحيى بن زكريا يعمِّد الناس في نهر الأردن ، وقد عمد السيد المسيح ، وقد اكتشفت عدة كهوف في الآونة الأخيرة كانت مخصصة لإجراء طقوس التعميد وتعود لزمن النبي يحيى ، وقد

نُكِبَ المندائيون بعد وفاة نبيهم يحيى، وقام اليهود بمجزرة رهيبة في عام ٧٠ ميلادية ، حيث قتلوا فيها أعدادًا كبيرة من الصابئة المندائيين ، وتذكر لنا المصادر أن ثلاثمائة وستين رجل دين مندائي قتلوا في هذه المجزرة، فاضطر الباقون منهم إلى الرحيل من فلسطين إلى بلاد ما بين النهرين، واستقروا على ضفاف دجلة والفرات والكرخة والكارون طلبًا للأمان.

قبل الوصول إلى الخاتمة لا بد من موجز تعريفي بالصابئة المندائيين لإعطاء فكرة مختصرة عن هذا البحث الموسع الموسوعي الذي يتضمن حاليًا جزئين أساسيين : الجزء الأول (دائرة معلومات موجزة) ، والجزء الثاني (الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف) ، وهناك أجزاء أخرى لشرح تفاصيل موسعة عن هذه الديانة التوحيدية، ليطلع عليها الباحثون والمثقفون بعد أن غَمطَ حقوقها عدد من الكتاب والمؤرخين عبر التاريخ، بسبب قصورهم عن التدقيق والتحميص والمتابعة الأمينة الصادقة ، ونقلهم معلومات مشوشة ، إمَّا كتبها مغرضون حاقدون ، أو بسبب عدم بذلهم الجهود الصادقة لمعرفة حقيقة هذا الدين التوحيدي الذي يعتبر أساسًا لكل الأديان التوحيدية التي أرسلها الله إلى عبادِهِ الصالحين بواسطة أنبيائهِ ورسلهِ الأكرمين.

▪ مقدمة تعريفية بالصابئة المندائيين

١- المقدمة

ظلَّ التاريخ والفكر المندائي بعيدًا نوعًا ما عن البحث المعمق والتقصي بسبب التكتم، والخوف من الجدال الديني وخاصة رجال الدين الأفاضل وتكتمهم على الكتب الدينية المدونة أساسًا باللغة الآرامية المندائية، وكذلك عزوف مثقفي الطائفة عن الخوض في هذا المجال، عدا شذرات بسيطة هنا وهناك، وكان الدافع الأساسي لذلك العزوف أن الدين المندائي ليس تبشيريًا، وأن الصابئة المندائيين لا يتقبلون غيرهم للدخول في دينهم، ولا يتزوجون ولا يزوجون من الأديان الأخرى، ولهذا انزوت الطائفة بما تملكه من كنوز ربانية عن باقي الملل والنحل.

إن من أوائل الذين بحثوا في أمور هذه الطائفة هم بعض المستشرقين الغربيين، ولكن عندما يتصفح القارئ أو الباحث كتب هؤلاء المستشرقين لا يجد ما يشفي غليله عن التاريخ والفكر المندائي، وإنما معظم كتبهم إما ترجمات لكتب دينية، أو شرح لطقوس وشعائر دينية معتمدة في الصباغة (التعميد)، أو اللوفاني (طعام الغفران)، أو الزواج، أو والوفاة، أو مراسيم تكريس رجل دين، وغيرها من الشعائر.

لقد كتب بعض المثقفين شيئًا عن التاريخ المندائي، ولكنها شروحات سطحية وتمَّ وضع احتمالات ليس لها أدلة دامغة، وأفكار متكررة ليست مؤكدة، بداياتها غير موثقة ونهاياتها سائبة، ولا تستند إلى مصادر موثوقة منصفة، وما زالت أصدق الوثائق وأدقها هي الكتب الدينية المندائية حصرًا.

لقد آن الأوان أن يكتب التاريخ بدقة وأمانة وحيادية اعتمادًا على الوثائق والآثار المادية في مناطق تواجدهم عبر التاريخ في بلاد ما بين النهرين،

ومصر ، وفلسطين ، وإيران ، وسوريا ، والأردن ، والسعودية ، وكذلك متاحف العالم والجامعات العالمية ، وما أفرزته حضارة ما بين النهرين ، والحضارة الفرعونية في مصر ، وتاريخ أورشليم ، ومدينة حرّان ، وحضارة ميَّ شان (محافظة ميسان الحالية) ، وما ذكرته كتب التاريخ ، والتركيز على الصحيح منها و تسليط الضوء على الكاذب منها وتفنيد ما جاء فيها من تشويه وافتراء ، وإظهار الحقيقة بالأدلة والبراهين.

وكذلك الاهتمام بالتاريخ المعاصر للطائفة ، وقراءة المستقبل المنظور إن أمكن ذلك ، بدءًا من مجلس التولية ، وتقييم التشكيلات الحالية التي تقود الطائفة في كافة المجالات ، ومناقشة الهجرة الأخيرة للطائفة وأسبابها ودوافعها ، وايجابياتها وسلبياتها، وتوثيق ما جرى لنربط الأحداث سابقًا وحاضرًا ونستفيد من التجارب المريرة للهجرة مستقبلاً ، ولماذا كل هجراتنا قسرية ؟!! ولماذا فيما مضى من الزمان اندفعنا إلى أعماق الأهوار ، وهي مناطق موبوءة متخلفة عن مظاهر الحضارة والتطور ، وضيعنا قرونًا عديدة لم تسنح خلالها الفرصة لأجدادنا القيام بإنجازات مهمة سوى المحافظة على أنفسهم ودينهم.

حاليًا تغير الحال وفَهمنا الدرسّ ، واتجهنا في هجرتنا القسرية أيضًا إلى العالم الحُّر ، واخترنا أكثر البلدان تطورًا وتحضرًا وديمقراطية.

الآن فُتحت أمام الطائفة وأجيالها الصاعدة آفاق العلم والمعرفة والتكنولوجيا والتطور في جميع المجالات ، فلنبدأ بوضع الخطط والبرامج لنهضة الطائفة ووضع بصمتها من جديد ، وتحفيز الجينات العبقرية التي طالما أنتجت لنا عباقرة ومفكرين في قديم الزمان ، لتتحرر من جديد وتنتج لنا حلقات جديدة من العلماء والأساتذة والباحثين ، لنعيد أمجاد آل قرة ، وآل الصابي ، وآل سام ، وآخرين ، لنكون موضع احترام وتقدير هذه الأمم.

٢- الغاية والهدف

تدوين دائرة معلومات مختصرة عن الصابئة المندائيين تفيد المكتبة والباحث عن معلومات صادقة أمينة، وتحفظ التراث الإنساني من العبث والتزوير.

إن الذي شجعني ودفعني للخوض في هذه الدراسة، أني واحدٌ من أبناء الطائفة، فهم أهلي وعشيرتي، تعلمت أدق التفاصيل عنهم بشكل مباشر، وكان معلمي الأول جَدّي يوسف سالم رحمه الله، وكان من وجهائهم وله إطلاع واسع على الدين المندائي.

في بداية التسعينات أصبحتُ عنصرًا فعالاً في مجالسهم وتشكيلاتهم، وتمَّ انتخابي رئيسًا لمجلس الشؤون العام للطائفة في بغداد، ورئيسًا للجنة ترجمة الكتب الدينية من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة العربية، فوضعتُ الخطط والبرامج بمؤازرة إخوتي في المجلس لإنجاز كثير من المشاريع، أهمها ترجمة الكتاب المقدس (الكنزا ربا) - الكنز العظيم، وبعد الهجرة القسرية إلى السويد، تمَّ انتخابي رئيس الجمعية المندائية في مدينة اسكلستونا، ومن ثم تم انتخابي سكرتير مجلس عموم الطائفة في السويد، وأدناه نبذة مختصرة عن الموضوع:

- أولاً : الصابئة المندائيون والتاريخ

الصابئة المندائيون لم يدوِّنوا تاريخهم وفكرهم، بسبب تكتم رجال الدين، واحتفاظهم بأسرار الكتب الدينية، واهتمامهم بالحياة الروحية، أضف إلى ذلك ان الدين الصابئي ليس تبشيريًا، حيث لا يتقبلون غيرهم، ولا يتزوجون ولا يزوجون لأبناء الأديان الأخرى، وهناك أسباب أخرى أهمها :

١- الكتب الدينية دونت باللغة الآرامية المندائية.

٢- كثرة الهجرة والارتحال طلبًا للأمان، وعدم انشائهم دولة عبر التاريخ.

٣- صعوبة استيعاب مفاهيم الدين المندائي، وطقوسه، وعقيدته، وفكره، وعزوف المثقفين منهم عن المتابعة والبحث، ماعدا شذرات قليلة عن التاريخ

المندائي ، ولكنها شروحات سطحية واحتمالات ليس لها أدلة دامغة ، وأفكار متكررة ليس مؤكدة ، بداياتها غير موثقة ونهاياتها سائبة ولا تستند إلى مصادر موثوقة ، ولهذا فأن أدق المصادر وأصدقها هي الكتب الدينية المندائية حصرًا.

٤- عامل الخوف والتوجس عندما يكونون تحت حماية دين آخر أسسَ دولة قوية.

وبشكل عام لم ينصفهم الكُتَّاب الأولون وعدد من المعاصرين لأنهم لم يكونوا مع الأسف محايدين ، ولم يَطلِعوا على كُتُبُهم الدينية ، والغوص في عقيدتهم ، ولم يعيشوا معهم لنقل الحقائق على أرض الواقع.

- ثانيًا : التسمية

الاسم المحبب لنفوسهم: الصابئة المندائيون ، وكلمة (صابئة) متأتية من الفعل الآرامي صبأً مصدره مصبتا ، أي المغتسلة الذين يعمدون أو يصبغون بالماء الحَّي الجاري ، لأن كل طقوسهم وشعائرهم الدينية تقام بالماء الجاري ، وبوجود النور ، لأنهما عنصرا الحياة والوجود ، والصابئون تعني المصطبغين بالماء الحَّي الجاري ، بنور الحق والتوحيد والإيمان.

أما كلمة مندائيون ، تعني المعرفيون ، لأنهم عَرَفوا خالقهم الله بالعقل والمعرفة ، وآمنوا بما أنزله عليهم الحَّي العظيم من الصحف الأولى ، وما بعثه من أنبياء صالحين: آدم ، وشيتل ، وسام بن نوح ، وإدريس ، وإبراهيم ، ويحيى بن زكريا ، مباركة أسماؤهم... ويسمى معبدهم (مندي) ويعني بيت المعرفة والذي يجمعهم للتعبد للخالق العظيم ، وإقامة الطقوس الدينية التي تكرس لعبادته.

- ثالثًا : المنشأ والأصل

العالم الأرضي بعد ثلاثين جيلاً (الجيل ألف عام أو ١٠٠٠٠ سنة) أخذ بالسيف والوباء ، وبقى رام وزوجته رودْ ، وبعد خمسة وعشرين جيلاً أخذ العالم

الأرضي بالحريق، وبقى الرجل شورباي وزوجته شرهبيل، وبعد خمسة عشر جيلاً أخذ العالم بالطوفان، وبقى الرجل سام وزوجته نوهوريتا، وبعد ست أجيال بنيت أورشليم (الحصن).

تذكر لنا الكتب الدينية المندائية في بوثة الطوفان (غرق العالم) أن سفينة نوح علية السلام بعد أن هدأ الطوفان، جنحت على حافة جبل قردون والذي يقع في شمال بلاد ما بين النهرين، قرب مدينة حرّان، التي هاجر لها لاحقًا نبي الله إبراهيم الخليل وسماها على اسم أخيه هاران، وفيها استقر المندائيون، وبعد حين من الزمن انحدر خلقٌ منهم جنوبًا إلى المياه البهية وعاشوا على ضفاف دجلة والفرات والكارون والكرخة، وتفرعات هذه الأنهر، وعلى سواحل حوض البحر الميت قرب مصبات الأنهار.

وهناك بحوث وكتب دينية مندائية تؤكد أن أصولهم من بلاد شنعار (بلاد ما بين النهرين)، وكانوا موجودين عندما تأسست الحضارة السومرية والبابلية، ولهذا يعتقد بعض الباحثين أنهم بقايا السومريين.

كذلك كان لهم وجود في شبه الجزيرة العربية، وسموهم الأحناف (على ملة إبراهيم)، الذي دعا إليه نبيهم إبراهيم (ع) ولكنهم اختلفوا معه، لأنه دعاهم إلى عبادة الله عبادة خالصة، دون الملائكة النورانيين، وبالمقابل قالوا له: لا نعترف بنبي من البشر مثلنا. بعدها أصاب نبي الله إبراهيم مرض في غلفته، فاضطر إلى الاختتان، وهذا عندهم حرام، لأن الله خَلَقَ الإنسان كاملاً، فهاجر مع عائلته وأنصاره من المندائيين إلى حران، ومنها إلى فلسطين، ثم عبروا إلى أرض الكنانة... وبرأيي هذا هو الرأي الأرجح، والذي يرجحه كثير من الباحثين. وفي الحالتين فهم أصلاً من بلاد ما بين النهرين، وهذه حقيقة أؤيدها، ولا يختلف عليها اثنان على ما أعتقد.

والصابئة هم الأحناف، والأحناف هم الصابئة، واختلافهم مثل اختلاف الكاثوليك عن البروتستانت وكلاهما مسيحيين، ولست متأكدًا من ذلك وواثقًا بشكل جازم ودقيق رغم تأكيد عدد من الباحثين على ذلك

- رابعًا : صابئة حران وصابئة البطائح

صابئة حران سكنوا مدينة حران، والتي تقع الآن ضمن حدود الدولة التركية، وأسَّسوا فيها حضارة راقية، نبغ فيهم علماء وأدباء ومنهم آل قرة، وآل صابي، وتفوقوا بالعلم والأدب والطب والرياضيات والفلك.

أما صابئة البطائح، وهم سكنة وسط وجنوب العراق، وجنوب غرب إيران.

وصابئة حران وصابئة البطائح كلاهما على دين واحد، وكتاب واحد، وتعاليم واحدة، ولهم نفس الأنبياء، ونفس الشعائر والطقوس، والفكر والعقيدة، وأنسابهم ممتدة، وهذه حقيقة نقرها ونؤمن بها.

- خامسًا : أنبياؤهم

آدم، وشيتل (شيت)، وسام بن نوح، ودنانوخت (إدريس)، وإبراهيم، ويهيا يهانا (يحيى بن زكريا).

- سادسًا : أركان الدين المندائي

التوحيد، الصباغة (التعميد)، الصوم، الصلاة، الصدقة.

- سابعًا : أهم الكتب الدينية

(كنزا ربا) - الكنز العظيم، دراشة أد يهيا (تعاليم النبي يحيى)، القلستا، حران كويثا، سيدرا نشماثا، ألف ترسر شياله، الدواوين وعددها ٢٤ ديوان.

- ثامنًا : الصابئة المندائيون والغنوصية

الغنوصية لها فلسفتها التي تقر بوجود الله المتعالي، ووجود الله الصانع الذي تدركه الحواس... والتعرف على الله المتعالي يتم من خلال الإحساس، ومواجد القلب.

أما المندائيون فيؤمنون بوجود الله الحَّي القيوم الذي لا يشاركه أحد ، وليس له والد ولا ولد ، يحيطهُ الملائكة الأثريون الذين بأمره يأتمرون ، خَلقَ كل شيء ، وبأمرهِ كان كل شيء... وأن الحَّي العظيم يُدرَكُ بالحس والعقل ، وبما أنزله من تعاليم سماوية ، وما بعثه من أنبياء ورسل ، وأن النشماثا (النفس البشرية) هبة من الخالق العظيم من عالم الأنوار ، وأن هذه الدنيا فانية (أرض تيبل) ، والإنسان بأعماله وحسناته.

بسم الحي العظيم : (**كُلٌّ ما يُصنَعُ بالأيدي يفسد ، وكلٌّ حَيَ ، إن عكازكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكأون ، فانظروا إلى ماذا تستندون**)[1].

بشكل عام العرب يفرقون بين الواقع والخيال ، ولهذا يؤمنون أن يكون هناك وسيطٌ بينهم وبين خالقهم مثل الغرانيق (النصب والتماثيل) زمن الجاهلية ، أو الأولياء الصالحين والأئمة المعصومين ، يتشفعون زلفى بهم إلى الله. في بداية الأمر اعتبروا الوسطاء بينهم وبين الله غاية ، وبمرور الزمن تحولوا إلى وسيلة بسبب النسيان.

- تاسعًا : التوحيد والوصايا

بسم الحَّي العظيم : (**أسبحك ربي بقلبٍ طاهر ، أيها الحي العظيم ، المتميز عن عوالم النور ، الغني عن كل شيء ، نسألك الشفاء والظَفر ، وهداية الجنان ، وهداية السمع واللسان ، ونسألك الرحمة والغفران ، آمين يا ربنا ، يا رب العالمين**) [2] **والحي مزكى**

بسم الحَّي العظيم : (**هوّ الحَّي العظيم ، البصير القدير العليم ، العزيز الحكيم... هُوّ الأزلي القديم ، هو السمعُ والقولُ والبصرّ ، الشفاءَ والظَفَرْ ، والقوة والثباتْ ، مَسَرة القلب وغفران الخطايا. هو العظيمٌ الذي لا يُرى ولا يحدْ ، ولا شريكَ لهُ في**

---

١ بوثة من كتاب "الكنزا ربا" اليمين ـ الوصايا

٢ بوثة من كتاب "الكنزا ربا"

سلطانه ، من يتكل عليه فلن يخيبْ ، ومن يسبح باسمه فلنْ يَستريبْ ، ومن يسألهُ فَهوَ السميع المجيبْ ، ما كان لأنه ما كان ، ولا يكون لأنه لا يكون ، خالدٌ فوق الأكوان وأمامهُ الملائكةُ ماثلون بأضويَتِهِم يتألقونْ ، ساجدين خاشعين شاكرينْ) [1]

- عاشرًا : الخلق والتكوين

كتاب (الكنزا ربا) - القسم الأيمن ، يبيِّن لنا عملية الخلق والتكوين للعالم النوراني في خمسة أيام (البروناية) الأيام البيضاء أو كما تُسمى عند العامة بأيام البنجة ، في أروع ما يكون من الإعجاز الرباني ، فقد تجلى بها الحَّي العظيم الخالق المتعالي ، ربّ العظمة ، ملك النور السامي ، عارف الحياة ، ذو الرائحة الزكية ، الجميل الذي ليس له مثيل ، خالق كل شيء جميل ، وخالق جمال الوجود. وتحدث عن الخلق للعالم الأرضي في ست أيام ، واليوم السابع هبشبا (يوم الأحد) كان راحة ، بأدق التفاصيل وأوضح ما يكون ، تحدث فيه كيف بسطت الأرض ، وكثفت ، وكيف رفعت السماء ، وكيف منحت الشمس ضياء والقمر نور والنجوم بهاء ووضعِتْ كلٍ في مدار ، وكيف جرت الأنهار وتفتحت الأزهار وأنبتت الأشجار ، وكيف خلق آدم وحواء.

- حادي عشر : الماء والتعميد

الحياة ، الماء الحي ، البهاء ، النور حلقات مترابطة بين عالم النور والعالم الأرضي. الماء نشأ في عالم النور وجُلِبَ إلى العالم المادي الأرض ، فبعد أن كان الماء الحي كان النور ومنهما جاءت الحياة ، وأن الحياة تكونت من الماء والنور بقدرة ملك النور السامي ، وما من طقس أو شعيرة دينية مندائية يمكن أن تجرى بدون وجود النور والماء الحي ، لأن الحياة عبارة عن نور وماء حي.

- ثاني عشر : النشماثا

---

١ بوثة من كتاب "الكنزا ربا"

(الكنزا ربا) - القسم الأيسر يحدثنا بإسهاب عن النشماثا (النفس)، ولم أجد هكذا تفصيل في كل الكتب السماوية المنزلة، وباختصار شديد أن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي: (الجسد، النفس، الروح)، ولأن الجسد جُبلَ من الطين من العالم الأرضي، بينما النشماثا جلبت من عالم الأنوار. و(الكنزا ربا) بقسميه يرمز إلى استمرارية الحياة، فبعد الحياة المادية توجد حياة روحية في عالم الأنوار.

- ثالث عشر : الهجرة وإفرازاتها

الصابئة المندائيون قوم مهاجرين عبر تاريخهم، والأسباب تكمن في عقيدتهم الدينية التي ترفض استعمال السلاح وقتل النفس البشرية مهما تكن الأسباب، وكان لزامًا عليهم الهجرة من مكان إلى آخر للحفاظ على حياتهم ودينهم.

- رابع عشر : الاسم الديني (الملواشة)

لكل فرد مندائي اسم ديني، بالإضافة إلى الاسم المدني الذي يحمله في بطاقة الهوية الشخصية، و بدون الملواشة لا تجرى للمندائي أي طقوس دينية.

- خامس عشر : العلاقة بين الصابئة المندائيين والديانات السماوية الأخرى

المندائيون يحترمون كل الديانات السماوية، ويؤمنون بالكتب المنزلة، وبأنبياء الله أجمعين، وبالحساب والثواب، وبالعمل الصالح والآخرة، ولقد تأثرت الديانات السماوية بالدين الصابئي المندائي، وتأثروا بها.

- سادس عشر : تقييم الصابئة المندائيين من قبل الأوائل والمعاصرين والمستشرقين

بشكل عام لم يصيبوا كبدَ الحقيقة، لعدم إطلاعهم على كتبهم وتراثهم، ولأنهم لم يعايشوهم، ومن ناحية أخرى كان الصابئة كتومِينْ حتى لا يدخلوا في جدالات هم في غنى عنها، ولأن كتبهم قد دونت باللغة الآرامية المندائية التي

لا يجيدها إلا القليل من أبنائها، ولكون الدين المندائي غير تبشيري، وانزوائهم في أعماق الأهوار لأزمنة طويلة.

- سابع عشر الهدف والغاية

رغم معوقات البحث والصعوبة البالغة بالبحث والتقصي لأسباب عديدة ذكرناها ورغم أنه لحد الآن لم يجرؤ أحد على كتابة تاريخهم وفكرهم وعقيدتهم بسبب شحة المصادر، وعلى الرغم من أن المؤرخين الأوائل وكثيرًا من المعاصرين، وعددًا من المستشرقين لَمْ ينصفوهم ويعطوهم حقهم، وأن أغلبهم نقل المعلومات واحدًا بعد الآخر من مصدر واحد دون تدقيق وتحقيق في هذه المعلومات وتبيان الصحيح والخاطئ منها كما أوضحنا ذلك بالتفصيل... رأيت من المفيد؛ بل من واجبي؛ أن أوضّح في هذا البحث كثيرًا من الحقائق، وأن أُدوِّن دائرة معلومات مختصرة عندما يطلع عليها القارئ أو الباحث يجدْ ضالته بأمانة وحيادية وصدق وضمير...

وقد جسدت:

١ أن الصابئة المندائيين قومٌ موحدون، يؤمنون بالله الواحد الأحد، وبملائكته النورانيين الذين يسبحونه وينفذون وصاياه وتعاليمه، ويؤمنون بالناصوراثا (الإيمان العميق)، وبالنشماثا (النفس والروح)، ويعتبرونها أقوى شيء في الوجود... وأنهم أقدم الأديان السماوية الموحدة.

٢ أنهم يؤمنون بما أنزل الله عليهم من كتبه المقدسة، وبأنبيائه والمرسلين، وباليوم الأخر، وبالحساب والثواب والعمل الصالح.

٣ خلال تاريخهم الطويل لم يؤسسوا دوله لأنه يتعارض مع عقيدتهم الدينية، وإيمانهم بالناصوراثا إيمانًا عميقًا، ونبذهم للعالم المادي (أرض تيبل).

٤ يمجدون الله وملائكته الذين يأتمرون بأمره، وهم وسطاء بينهم وبين خالقهم، ولا يدعُون مع الله أحدًا، ولا يتشفعون بأولياء أو رجال دين صالحين مهما كانت مرتبتهم الدينية وكراماتهم.

٥ أنبياؤهم آدم، وشيت، وسام بن نوح، وإدريس، وإبراهيم، ويهيا يهانا، عليهم السلام أجمعين، وكتابهم المقدس (الكنزا ربا) - الكنز العظيم، وهناك كتب دينية أخرى تضم تعاليم ومواعظ وشروح وتراتيل دونت باللغة المندائية، ويطبق رجال الدين ما وردَ فيها من أحكام وأوامر وتعليمات لإجراء الطقوس والشعائر الدينية.

٦ المحرمات عندهم كثيرة وكلها تقريبًا مذكورة في شرائع الأديان السماوية الأخرى.

٧ منشأهم الأصلي في العالم النوراني، حيث يؤمنون أن العالم النوراني والملائكة مندائيون، وهم ذرية آدم (ع)، وأن الله خلق آدم مندائيًا، وعلمه الإيمان والوصايا.

٨ أنهم أثروا وتأثروا بالأديان السماوية الأخرى، ويشتركون مع المسلمين بالتوحيد والوضوء والصلاة والصدقة، ومع المسيحيين بالتعميد والصوم والتعاليم، فعندما تقرأ كتاب (الكنزا ربا) وتعاليم النبي يحيى كأنك قرأت الإنجيل، وكذلك مع اليهود بالصوم والصلاة والتوحيد، لكن اليهود ادعوا أنهم شعب الله المختار وأن الله جلَّ جلاله يكلمهم ويوجههم بشكل مباشر وكأنه واحد منهم، ويعتبرونه ربَّ اليهود، ويقولون إن الجنة والنار في هذا العالم لا غير.

٩ هناك اختلاف بين الصابئة المندائيين وبين الغنوصية التي تؤمن بمعرفة الله بالقلب بينما الصابئة يؤمنون بمعرفة الله بالحس والعقل.

١٠ الصابئة هم الأحناف، والأحناف هم الصابئة، ولكن نبي الله إبراهيم الخليل (ع) دعا إلى عبادة الله عبادة خالصة، ولكنهم يقولون إن الله جلَت قدرته بعث جبريل ليبلغ النبي محمد (ص) رسالته، وبعثَ منداد هيي ليبلغ آدم تعاليمه.

١١ ورد ذكر أنبياء الصابئة في القرآن والإنجيل، وكذلك وَرَدَ ذكر الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾[١] في القرآن الكريم، وكذلك ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾[٢].

وذكرَ إنجيل متَّى نبيهم يحيى بن زكريا بأحسن الكلام (**لم يقم بينَ المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان**)، وكذلك في إنجيل لوقا (**أنهُ بينَ المولدين من النساء ليس نبيَ أعظمَ من يوحنا المعمدان**)

وذكرهُ الرسول الكريم محمد (ص) في أحاديثه (كلَّ بَني آدم يأتي يَومَ القِيامَةِ ولَهُ ذَنبٌ إلا ما كانَ منْ يَحيى بن زَكَريَّا)

وحين نقرا تعاليم ومواعظ النبي يحيى بن زكريا -مبارك اسمه- وسيرة حياته، وكيفَ عَمَّد السيد المسيح، نرى عظمة هذا النبي المبجل، والعظمة لله جلّ جلاله، ومن يَطلع على كتاب دراشة يهيا يهانا (تعاليم النبي يحيى) كأنه أطلع فعلاً على ما ذكر في الأناجيل من قصصهِ وأحاديثه.

- ثامن عشر : التوصيات

١ ضرورة تدوين التاريخ المندائي، والعقيدة المندائية بما تحمله من أفكار، بأمانة وصدق وحيادية، ولنبدأ من الآن بفكرٍ نيِّر وأيادٍ أمينة ونفوس نقية مؤمنة بالحق والإنصاف.

٢ توزيع أعداد كبيرة من الكتاب المقدس (كنزا ربا) النسخة العربية المتعمدة (نسخة بغداد) على الباحثين والمفكرين، والمراكز البحثية المختصة بالعلوم الإنسانية والتاريخية والدينية، ليطلعوا على هذا السفر العظيم.

---

١ القرآن الكريم: سورة الأعلى، الآيتان ١٧-١٨

٢ القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية ٦٥

٣ إنشاء كلية الدراسات المندائية، لتخرج أساتذة ورجال دين أكاديميين قادرين على البحث والتأليف والترجمة، وحضور المؤتمرات العالمية.

٤ البدء بتأسيس مركز للدراسات والبحوث والترجمة المندائية، مع رفدها بمكتبة متكاملة تضم جميع المصادر البحثية والكتب الدينية المندائية والأديان السماوية الأخرى، والكتب والوثائق للطوائف الأخرى التي تأثرت بالفكر والعقيدة المندائية، مثل الديانة المانوية، والكاكائيين، والبكداشية، والمولودية، والإيزيديين، والدروز، لتسهيل الأمر على الباحثين والدارسين.

٥ من الضروري الانفتاح الفكري والثقافي أمام المجتمعات الأخرى، ونبذ السرية والكتمان فيما يخص الدين المندائي، وبدأ مرحلة الحوار والمناقشة حول الدين والعقيدة المندائية، فليس هناك شيء البتة في الكتب والطقوس الدينية يخيف أو يمس الآخرين بسوء لا سامح الله، أو أنه مخالف بما أمر به الحي العظيم من أوامر ونواهي تخص المؤمنين الموحدين.

٦ إعداد بعثات أثرية متخصصة للبحث عن آثار وتراث الصابئة المندائيين في المناطق التي تواجدوا فيها عبر التاريخ، والتنسيق مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) ومع الدول المعنية لهذا الغرض، وتمتلك الطائفة كوادر راقية في مجال التنقيب والآثار.

٧ دراسة الهجرة وإفرازاتها، ولملمة الشتات، والمحافظة على اللغة العربية كلُغة أم، وإتقان اللغة الإنجليزية، والاستفادة القصوى من إمكانات البلدان المتقدمة في إنشاء جيل جديد متسلح بالعلم والمعرفة، وقد أثمرت السنوات المنصرمة في ظهور عدة كفاءات علمية وطبية وأدبية هي امتداد طبيعي لحقبٍ زمنيةٍ ازدهرت بعلماء الصابئة أمثال ثابت بن قرة وأبو إسحاق الصابي والعالم عبد الجبار عبد الله... وغيرهم الكثير.

٨ دراسة إمكانية أن يكون ماء الإسالة الصالح للشرب، ماءً جاريًا حيًا، مراعاة لتطور الحياة وللضرورة القصوى خاصة في أيام الشتاء القارص وتجمد الماء في دول المهجر.

٩ أقترح أن يكون المسؤول عن فحص بكارة البنات المتزوجات من اختصاص المراكز الطبية حصرًا.

ومن الله الحَي العظيم التوفيق.

المندائيون أثرٌ مِنْ آثار التاريخ الحي، فبدلاً من أن ينبش علماء الآثار في الأرض وباطنها عن معرفة تاريخ البشرية وتراثها، فنحن الصابئة المندائيون يتجسد بنا تاريخ البشرية. فهم جذر التوحيد الأول، وقد تعاقب عليهم عدد من الأنبياء والرسل آدم، وشيتل، وإدريس، وإبراهيم، وسام، ويهيا يهانا، مباركة أسماؤهم، ولهم كتبهم وشرائعهم، وطقوسهم التي يقدسونها، والتي بقت على ما هيَّ عليه منذ قديم الزمان.

الدين الصابئي المندائي بدأ في عالم الأنوار، فالحي العظيم خلقَ الملائكة الأثريين مندائيين، كذلك في العالم الأرضي خلق الحي العظيم آدم وحواء وذريتهم مندائيين، وعلمهم التوحيد والوصايا كلها، وعبادة الحيّ الواحد الأحد، وأنزلَ عليهم أول التعاليم، وبعث لهم الأنبياء تباعًا، تم تسميتهم في بادئ الأمر بالمعلمين، أو الوعاظ، أو الرعاة، أو الناصورائيين، لأن النبي في معتقدهم يجب أن يكون ملاكًا لا بشرًا مثلهم. وبعد وفاتهم وعروجهم إلى عالم الأنوار ليحيوا حياة ثانية أبدية كملائكة أثريين، يصبحون أنبياء. فالاعتقاد السائد أن المعرفة الربانية إنما يأتيهِ هييِّ قدمايي لعبادهِ الصالحين المختارين الصادقين (بهيرا زدقا)، إمَّا وحيًا، أو إلهامًا، وذلك هو صوت الحيَّ القديم (شوت هييِّ قدمايي)، أو فيضًا سماويًا، أو بواسطة رسل نورانيين، وهذا الاعتقاد على ما يبدو كان سائدًا عند الأسلاف الذين عاشوا في تلك الأماكن.

يعتبر آدم رأس السلالة البشرية، وأول الأنبياء. جُبِل من الطين الأحمر، ومن الدم والمرارة، وأسرار الكون، ونزلت له نشماثا من عالم الأنوار، بأمر من الحيّ العظيم، حملها إلى أرض تيبل الملاك منداد هيي بعد أن أخذها من النظير (الدموثا) آدم كسيه، وبارك الهيي قدمايي في ذرية آدم وزوجته حواء. وحين كبر أبناء آدم وأصبحوا في سن الزواج، أرسلت البنات إلى عالم مشوني گشطه ليتزوجن، وجيء ببنات من عالم مشوني گشطه ليتزوجن أولاد آدم. ولهذا الابن يسمى باسم أمه (الاسم الديني) التي تجرى له كل الطقوس بهذا الاسم، لأن المرأة جاءت من عالم النقاء والطهارة، وأن حواء خلقت من جسم آدم، ولربما لأن الأم هيَ الوحيدة التي تعرف هذا ابن من !!؟ وهذه فلسفة مندائية لا يوجد مثيلها في الأديان السماوية الأخرى، لذلك أخطأ الفيلسوف الشاعر أبو العلاء المعري، صاحب ديوان سقط الزند وصاحب رسالة الغفران حين قال:

إذا مـــــا ذكرنـــــا آدم وفعالـــــهُ وتزويجـــه بنتيـــه لابنيـــه فـــي الخنـــا

علمنا أنَّ النَّـــاس مـــن نســـلٍ فـــاجرٍ وأنَّ جميع الخلـــق مـــن عنصـــر الزنـــا

وتذكر لنا بعض النصوص أنه يوجد اثنان من كل شيء، وبهذا لكل إنسان شبيه (دموثه) في العالم العلوي، ولدى الوفاة تخرج النشماثا من الجسد، وتذهب إلى الشبيه (الدموثا)، وهذه فلسفة عميقة.

يؤمن الصابئة المندائيون أن العالم العلوي تم خلقه في خمسة أيام (البروناية) وهي أيام بيضاء: ففي اليوم الأول انبعث هييّ قدمايي ملك النور السامي، وفي اليوم الثاني انبعث ربّْ العظمة (ماري دربوثا)، وفي اليوم الثالث انبعث عارف الحياة (منداد هييّ)، وفي اليوم الرابع انبعث الحق الكامل، وفي اليوم الخامس بدأت الحياة في عالم الأنوار بعد أن تفجرت الينابيع بالمياه الحية العذبة الصافية، وجرت اليردنا السماوية، وانبثقت الحياة الملائكية... ولهذا تعتبر الأيام الأربعة كأنها يوم واحد بيضاء، ولا تعد هذه الأيام الخمسة من السنة المندائية، لقدسيتها. انبعث ملك النور السامي من ذاتهِ فانبعث منهُ الطاقة والنور

والضياء والحرارة الحية، لأنه الرائحة الطيبة والصوت السني، والكلمة التي بِها خَلَقَ كلَ شيء (بقوله كان كل شيء)، وهوَ الجمال كلهُ، جمال الهيئة وجمال الوجود، وخلَقَ كل شيء جميل في هذهِ الأكوان.

قلنا إن كثيرًا من المؤرخين أجحفوا بحق الصابئة المندائيين وبتسميتهم وانتسابهم وتوحيدهم، ومن الأخطاء التي وقعوا فيها تسمية الصابئة بالأسينيين، نسبة إلى طائفة الأسينيين التي سكنت مع أقوام متعددة في حوض البحر الميت، ورغم وجود اختلافات جوهرية بينهم وبين الصابئة المندائيين، ولكن بسبب تشابه الملابس، وبسبب ارتماسهم بالماء الجاري، وبسبب إجراء المراسيم الدينية في النهار، نسبوا المندائيين لهم، أو نسبوا إلى المندائيين للتشابه بينهم في الطقوس والشعائر، ومشاركتهم العيش في نفس المنطقة. اضطرَ الأسينيون في مراحل من حياتهم أن يعيشوا حياة الانزواء والابتعاد ليعيشوا بسلام وأمان بعيدًا عن ظلم اليهود والرومان الحاكمين في أورشليم... وكلمة الأسينيين تعني في اللغة اليونانية (القداسة)، أو (الطهارة)... ويذكر أن عددهم في ذلك الزمان بحدود ٤٠٠٠ نسمة، ولكن بعد ذلك اختفى ذكرهم إلى أن جاء عام ١٩٤٧ م عندما اكتشف أحد الرعاة خربة قمران، وفيها عدد من اللفائف والمخطوطات المحفوظة في جرار محكمة في داخل الكهوف في الجانب الغربي من البحر الميت... كما تم اكتشاف مخطوطات قبطية في نجع حمادي بمصر عام ١٩٤٥ والوثيقة الدمشقية التي لها علاقة بالموضوع، فتوالى على دراسة ذلك عدد كبير من الباحثين على تلك المخطوطات التي يعود عمرها إلى ٢٠٠٠ سنة ميلادية لوجود معلومات مهمة ومثيرة عن هذه الطائفة وعلاقتها بالطوائف الأخرى التي عاشت بقربها مثل الصابئة، واليبوسيين، والحسح، والكنعانيين، والصدقويين، والسامريين وغيرهم، هذا الموضوع أصبح مثار جدل العلماء والباحثين للتوصل إلى الحقائق ومعرفة أصل الأديان، والذي سيحدث ثورة في فهم الديانات وتاريخها. ومازال الاختلاف بين الباحثين قائمًا في أصل الأسينيين وهل هم طائفة قمران أم لا، لأن كثيرًا من المخطوطات تحفظت عليها

المؤسسة اليهودية وأخفتها لأنها تلحق ضررًا بهم وبالمسيحية عمومًا، وطبعًا كثير من الباحثين شَبَهَ الأسينيين بالصابئة المندائيين، لكونهم لا يجرون مراسيم التعميد إلا في النهار، عدا أيام البروناية (البنجة) الأيام الخمسة البيضاء التي لا تحسب من عمر الزمن، والتي خلق بها العالم العلوي. ورغم وجود التشابه بين الطائفة المندائية والأسنية، ولكن هناك أيضًا اختلاف بينهما في كثير من النواحي، ولربما تأثرت طائفة بأخرى بحكم المكان والعيش المشترك في ذلك الزمان. ان الأمر يحتاج إلى دراسة عميقة، وترجمة بقية المخطوطات، وإطلاع العلماء والمختصين على جميع الوثائق والمخطوطات التي تم العثور عليها، وبدون التحفظ على قسم منها، فهذه المخطوطات ملك للبشرية جمعاء، وليست مُلك فئة أو طائفة معينة، وما تحتويها من معلومات وأسرار تفتح جميع الطلاسم، وتظهر الحقيقة.

ادعت دائرة الآثار الدينية ووزارة السياحة الأردنية، أنها عثرت في وادي الخرار شرق نهر الأردن، وهي القرية التي يسكنها النبي يوحنا المعمدان، والتي تسمى بيت عنيا، وتسمى باللغة الآرامية المندائية (بيت أنيا) ومعناها بيت الفقير، أو الإنسان المتواضع، وقد عمد السيد المسيح في هذا البيت... ويذكر أن وزارة السياحة الأردنية رَوَجَتْ كثيرًا للمكان الذي عمد فيهِ النبي يهيا يهانا السيد المسيح، وذكروا أن هناك حوضًا كبيرًا يتصل بمدرجات كثيرة، ويجهز بالماء من خلال أنابيب صخرية، ربما كان يستعمل للتعميد في أيام الشتاء القارص، وكذلك وجدوا عشرات من الجرار المكسورة والتي تستعمل في مراسيم الزواج المندائي، وكما هو معروف أن المندائيين ونبيهم يهيا يهانا كانوا يتعمدون بالماء الجاري العذب في نهر الأردن وروافده لأداء طقوسهم الدينية، والظاهر أن الغاية هو الربط بين اكتشاف مخطوطات قمران وبين اكتشاف الحوض الذي يعمد فيه النبي يحيى بن زكريا الناس بالماء، وما زالت الدراسات مستمرة والتنقيبات مستمرة للعثور على معلومات أوسع تكشف للباحثين معلومات هم بأمس الحاجة لها لمعرفة حقيقة هذه الطوائف والأديان.

▪ مقدمة للخاتمة

عندما يريد الباحث أن يبحث موضوعًا معينًا عن الصابئة المندائيين يجد صعوبة بالغة بحصوله على المصادر المطلوبة، وعندما يحاول الاستعانة بأبناء الطائفة يجد أن جلَّ اعتمادهم على الكتب الدينية المكتوبة باللهجة المندائية إحدى اللغات الآرامية الشرقية، وتجد هناك قلة نادرة من يجيد هذه اللغة القديمة، ومع هذا هناك عدد قليل من الكتب قد ترجمت إلى العربية، وأهمها (الكنزا ربا) الكتاب المقدس للصابئة المندائيين.

فالمندائيون أثرٌ مِنْ آثار التاريخ الحية، يعتبرون أنفسهم جذر التوحيد الأول ، وقد تعاقب عليهم عدد من الأنبياء والرسل من آدم، وشيت، وإدريس، وإبراهيم، وسام بن نوح ، ويحيى بن زكريا... ولهم كتبهم وشرائعهم وطقوسهم التي يحترمونها ويقدسونها.

من الصعوبة أن يعرف الباحث مؤسس الديانة المندائية، ولكن همْ يقولون إن دينهم بدأ في عالم الأنوار ، عندما خلقَ الحي العظيم الملائكة الأثريون وجعلهم مندائيين، بعدها خلقَ آدم وحواء وذريتهم مندائيين، وعلمهم التوحيد والوصايا، وعبادة الله الواحد الأحد، وأنزل عليهم أول التعاليم صحف آدم وشيت، وبعث لهم الرسل والأنبياء تباعًا.

حرَّم الدين الصابئي المندائي الختان على الذكور والإناث، وتغيير ما خلقه الله الذي خلقَ الإنسان كاملاً، فجاء في (الكنزا ربا) ﴿**يَا أَصْفيائِي ، أَيُها المُؤمنُون : إِنَّ الَّذينَ يَسْجُدُونَ لِأَدُونَاي ، وَيُحَرِّفُونَ النِّدَاءَ الْأَوَّل قَدْ أَلَّفُوا لَهُمْ كِتَابًا ، لَا تَكُونُوا مِنْهُمْ ، وَلَا تَخْتَتِنُوا ، وَلَا تَسْلُكُوا طَرِيقَ الَّذِينَ عَلَىٰ كَلَامِهِمْ لَا يَثْبُتُونْ**﴾[1]، وقد أكدت الكتب الدينية المندائية على الشروط التي يجب توفرها في رجال الدين المندائيين بكافة مراتبهم الدينية وصلاحياتهم ، والمساعدين في أداء الطقوس

---

١ بوثة من كتاب "الكنزا ربا" اليمين ـ الوصايا

الدينية (الشكندا) أن يكونوا في تمام الخلقة بدون نقصان ليكون الجسم غلافًا جميلاً نظيفًا للنشماثا (النفس) لأداء الطقوس والشعائر الدينية لأبناء طائفتهم ، لهذا يحرص المندائيون على النظافة والمحافظة على الجسم من كل التشوهات، ويتطابق مع جاء في القرآن الكريم ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾[1].

وكذلك توجد محرمات كثيرة في الدين المندائي ، فقد جاء في كتاب (الكنزا ربا): ﴿ **وحَرّمَنا عَليكُمْ الدمَّ والمَيتَ والمُشَوه والحامِل والحائض والتي أجهضَتْ والكاسِر والجارح وكلُ ما مَسَهُ حيوان مفترس**﴾[2]

ومن خلال مطالعتي لنصوص كتاب (الكنزا ربا) لم أجد شيئًا بخصوص تحريم أكل لحم البقر ، ولكن رجال الدين يذكرون أنه تمَّ تحريمه في كتب دينية أخرى.

القرآن الكريم كلام الله قد اعترف بالدين الصابئي المندائي دينًا سماويًا، ونزلت ثلاث آيات بينات في سورة البقرة، وسورة الحج، وسورة المائدة، وتذكر السيدة عائشة أن الرسول محمد (ص) كان له مجلسٌ مع سلمان الفارسي ، فقد كان صابئيًا مندائيًا من الأحناف ، ترك قومه في الأهوار وشَدَّ الرحال إلى الجزيرة العربية و كان متبحرًا في الدين الصابئي، وليس غريبًا أن تطلق كلمة مُسلمين على من أتبعوا الرسول محمد (ص)، فهذه الكلمة وردت في كتاب (الكنزا ربا) قبل آلاف السنين وتأتي بمعنى المؤمنين بالله وكصفة لقوم التوحيد الأول ﴿ **يا شلماني ومهَيمني ، يا مهَيمني وشَلماني ، لا تفيخون من مملايخون** ﴾ وترجمتها ﴿**أيها المسلمون المؤمنون ، وأيها المؤمنون المسلمون ، لا تتراجعوا عن عهدكم الذي عاهدكم الله عليه**﴾ ، وكذلك النص ﴿ **كرسي إترَصْ لرَبْ زيوا ، وَرَبْ زيوا يتب إلّي... إترَصْ لقْدَامي تَّشليما اد لشَلمَّاني مشَلملُن**﴾ وترجمته ﴿ **ثبتَ عرش لربْ الضياء جالسٌ على عَرشِهِ ، مثبت قَدامه الجزاء الذي يجازي به المسلمون** ﴾ ،

---

١ القرآن الكريم: سورة التين، الآية ٤

٢ القرآن الكريم: سورة الأعلى، الآيتان ١٧-١٨

وكذلك النص ﴿ **طوبى لعباد الحق المسلمين المؤمنين... طوبى للمسلمين المبتعدين عن السوء** ﴾.

كثير من الباحثين والمترجمين يترجمون كلمة شلماني إلى الكاملين ﴿ **أيها الكاملون والمؤمنون، وأيها المؤمنون والكاملون**﴾، وهذا خطا لا يغتفر في الترجمة فالبشر ليسوا كاملين، والكمال هو للحي العظيم الله والذي بكماله يقتدي البشر المؤمنين.

إنَّ تكتم الصابئة المندائيين وانغلاقهم على أنفسهم، وعدم ترجمة كتابهم المقدس (الكنزا ربا) في العصور الخوالي وكان أبناء الطائفة من خيرة المترجمين في كثير من اللغات في عصر الدولة الساسانية والدولة العباسية، مما ضيع عليهم الفرصة للتعريف بدينهم ، وجعلَ الكثيرين يعتقدون فيهم اعتقادات شتى... والحقيقة أنهم قومٌ يوحدُون الله ويسبحونه ويعظمونه، وهم قومٌ مسالمون يحبون عمل الخير.

والدين الصابئي يحث المندائيين على الزواج، فقد وردَ في (الكنزا ربا) :

بسم الحيّ العظيم : ﴿**أيها المندائيون زوجوا أولادكم وزوجوا بناتكم ليزداد عددكم ولتبتهج بكم الدنيا ، وليعتني بعضكم ببعض عناية العيون بالأقدام ، ولا يترك أحدكم الآخر حتى تنتهي أعماركم ، ولا تكونوا كالنبات الرديء يشرب الماء ولا يعطي الثمر** ﴾.

لقد تأثر السومريون والبابليون بالدين المندائي، وهناك تشابه في بعض الطقوس ومنها بناء كوخ من القصب والبردي، ويتم فرشه بالحصران، ويطلونه بالطين، ويكون بابه باتجاه الشمال، وكذلك يلبسون الملابس البيضاء (الرستة) في أداء طقوسهم الدينية.

وكذلك يتشابهون في كثير من المحرمات ومنها تحريم حلق اللحية وشعر الرأس وخاصة لرجال دينهم.

وفي اعتقاد الديانة البابلية والمندائية أن الروح بعد خروجها من الجسد تبقى تحوم بين البيت والقبر لمدة ثلاثة أيام قبل غروبها.
وهناك نوع من التشابه بين الخلق والتكوين عند المندائيين وما وردَ عند البابليين في ملحمة (الأنيوما اليليش).

والخلاصة أن الصابئة المندائيين طيف جميل من أطياف الشعب العراقي، لهم جذور سحيقة في أرض الرافدين، يتكلمون باللغة الآرامية المندائية، وهي لغة شرقية سامية؛ لغة آدم وشيت وإدريس وسام وإبراهيم ويحيى بن زكريا، ولازالوا يلبسون الملابس البيضاء (الرستة) كأسلافهم من الأنبياء والمؤمنين، وهم وفق عقيدتهم وشعائرهم لا يذبحون حيوانًا أو طيرًا محللاً للذبح إلا وفق رسوم طقسية، لكي لا يتحمل الإنسان خطيئة ذبح هذا الحيوان، ومن ثم يقرأون بوثة الاستغفار لما قام به من عمل.

وقد عرفنا أن أهم شعائر الدين المندائي وأركانه هي التوحيد والصباغة (التعميد) والصوم والصلاة والصدقة، ويقدسون الحياة والنور والماء الجاري. والصلاة عندهم بعد الوضوء (الرشامة والبراخة)، وهي قراءات لعدة بوث على أن يكون المصلي قد توضئ وفق مراسيم، وعليه أن يتجه إلى الشمال جهة باب عالم الأنوار... والصدقة عندهم مهمة وواجبة، وهيَ زادهم عند عروجهم إلى عالم الأنوار (الجنة) لأنها من الأعمال الصالحة التي يحبها الله... والصوم صومان: صوم صغير مدته ستة وثلاثون يومًا موزعة على أيام السنة ويمتنعون فيه عن تناول اللحوم وذبح الحيوانات المحللة للذبح، والامتناع عن تناول أي شيء فيه روح. أما الصوم الكبير فهو صوم العقل والقلب والضمير، أي أن لا يرتكب الصابئي المندائي أي خطيئة في حياتهِ، والامتناع عن كل الفواحش والمحرمات، والى كل ما يسيء إلى علاقة الإنسان بربهِ، وينزه حواسه ويديهِ وقلبه وعقله ورجليه ويبعدها عن الخطيئة.

والمحرمات في الدين الصابئي المندائي كثيرة ومتعددة ومنها :

الكفر بالله ، القتل ، السرقة ، الغش ، الكذب ، شهادة الزور ، خيانة الأمانة ، التصرف السيئ ، الزنا بكل أنواعه واللواط وعمل الفواحش ، السجود لغير الله ، عبادة الأصنام والأوثان والكواكب والأفلاك والبشر والنار ؛ وكل شيء ما خلا الخالق العظيم ربّ الناس أجمعين ، السحر والشعوذة ، قتل الحيوان أو إيذائه أثناء ذبحه ، الدم والميت والحامل والحائض والتي أجهضت والمشوه والكاسر والجارح ، الأعمال التي تلحق بالإنسان أي ضرر ، البكاء والنواح ولبس السواد على الموتى ، التفاخر بإعطاء الصدقة والحديث عنها ، الربا وربا الربا ، تلويث الأنهار والطبيعة ، الانتحار والإجهاض المتعمد ، القسم أو الحلف بالباطل ، شهادة الزور ، الحنث باليمين ، معاشرة الزوجة أثناء الحيض ، الامتناع عن الزواج من قبل الرجل والمرأة ، عدم الانجاب بذرية صالحة بدون سبب ، الختان ، شرب الخمر والكحول وكل ما يذهب العقل ويؤذي الروح والجسد ، يحرم الزواج من المحارم وتشمل : الجدة والأم وزوجة الأب والأخت ، وزوجة العم والخال ، والعمة والخالة والابنة ، وزوجة الأخ (بعد طلاقه منها أو وفاته) ، وأخت الزوجة وهي على ذمتهِ ، وبنات الأخ والأخت ، وبنات زوجة الأب. وكذلك الزواج والتبني من أتباع الديانات والطوائف الأخرى ، وخروج الصابئي المندائي عن دين الحيّ العظيم... وهناك محرمات كثيرة أخرى.

أما عن الميراث فالرجل والمرأة متساويان في كل شيء ، لا فرق بين ذكر وأنثى في نصيب كل منهما من الميراث ، ويتم توزيع الحصص بالتساوي ، وفي حالة وجود أفراد لم يبلغوا سن الرشد (١٨ عام) فيعهد بالميراث المخصص لهم إلى الابن الأكبر لحين بلوغهم السن القانونية ، ويخضع الصابئة المندائيون الآن إلى قوانين الدول ودساتيرها في مثل هذه الأمور القانونية.

ومكان العبادة يسمى عندهم المندي أو المندى ، جمع منادي ، وهو بيت العلم والمعرفة وإجراء الطقوس والمراسيم الدينية ، وتكريس رجال دين جدد ، وأن

يوم الأحد هو يوم مبارك ومقدس عندهم، وتقام فيه الطقوس والشعائر الدينية، وتعقد فيه مراسيم الزواج.

أما درجات رجال الدين فهي :

١. الشكندا : الحلالي أو مساعد رجل الدين في إتمام الطقوس الدينية، ومنها تهيئة طعام الغفران (اللوفاني)، ونحر الحيوانات المحللة شرعًا، وحمل جنازة المتوفى، وغيرها
٢. الشوليا : طالب العلم أو المرشح لتكريسه إلى رتبة ترميذا بعد تعلم مبادئ الدين واللغة المندائية قراءة وكتابة، والخضوع إلى مراسيم خاصة، حيث يقوم بتلاوة كتاب سيدرا اد نشماثا بأجمعه عن ظهر قلب، ويمر بفترة اختبارات روحية لمدة سبعة أيام لا ينام فيها، ويتم تلقينه سلسلة من الرموز الروحية، ويمتحن من قبل رجال الدين الذين يقومون بطقس التكريس.
٣. الترميذا : يقوم بالطقوس الدينية ومنها الصباغة، وعمل اللوفاني (طعام الغفران) للمتوفين من أبناء الطائفة، ومساعدة رجل الدين بدرجة الكنزبرا أو الريش أمة بمراسيم عقد الزواج، وكذلك يقوم الترميذا المختص (الأبيسق) بعقد الزواج للثيب.
٤. الكنزبرا : يكون رجل الدين بهذه الدرجة متقناً لأداء الطقوس والمراسيم الدينية، وقادرًا على شرح كتب الدين، وله قابلية الزعامة، وكمشرع، وله الحق في اختيار رجال دين وطراستهم (مجموعة مراسيم دينية لترقيتهم من درجة إلى أعلى)، وعقد طقوس الزواج.
٥. الريش أمة : وهوَ أعلى درجة كهنوتية ينالها رجل الدين بعد تكريسه سبعة رجال دين، وهو بمثابة قائد الأمة، والمحافظ على الدين المندائي، والذي يبت في الأمور الدينية للطائفة، وقد بلغ هذه الرتبة كل من الريش أمة عبد الله الكنزبرا نجم- رحمه الله - والريش أمة صلاح جبار طاووس، والريش أمة ستار جبار حلو -أطال الحيّ الأزلي بعمرهما - في العصر الحديث.

٦. الرباني : وقد بلغ هذه الرتبة نبي الله يهيا يهانا – مبارك اسمه – ولم يبلغها أحد غيره.

ومن الضروري جدًا أن يكون رجال الدين من أصول عائلية معروفة (حلالية بالوراثة) أي لم يرتبكوا خطيئة خلال حياتهم أو حياة أجدادهم وجداتهم، وليس فيهم نقص بدني أو عقلي، أو مرض لا يرجى شفاؤه مثل البرص، والجذام، ونقص المناعة، والسل، وأن يكون متزوجًا، أو يتزوج من باكر، ومن عائلة حلالية.

إذن المندائية من الديانات الموحدة والتي تؤمن بالله الواحد الأحد، المبعوث من ذاته (الاهيا اد من نافشي أفرَش) (الله الذي أنبعَثَ مِنْ ذاتِهِ)، غير محدود الأسماء والصفات والقوة والإرادة. لذلك يسمونه (هييّ ربي الحيّ)... وكذلك يقرأون (بسم الحيّ العظيم) في بداية أي عمل، لأن الحيّ هوَ جميع الحياة، والحياة بأكملها هيَّ الحيّ، ولقد جاء نص في كتاب دراشة اد يهيا (تعاليم النبي يحيى) : ﴿ **مَلعُونٌ ومخزي مَنْ لا يَعرِف ولا يَعْلَم بأن ربُنا هوَ مَلِك النُور السَامِي الواحد الأحد** ﴾

إننا لا نستطيع أن نعرف كينونته وماهيته إلا بالعقل والإحساس والمنطق، فلا حياة دون صانع هذه الحياة ﴿ **ربَنا لَكَ نَدعُو ، وباسمك نُسَبِح ، فامنَحَنا وضوحَ الرؤيا ، وسهل لنا أمورنا ، وهِبْ لنا من لدنكَ الهدوء والسكينة لأنفُسِنا** ﴾.

عبر التاريخ أُطلِق على الصابئة المندائيين تسميات متعددة، منها :

- المندائيون : أي العارفون لدين الحق والموحدين رَبّ العالمين.
- الصابئون : أي الصابغون بالماء الجاري، مشتقة من الفعل الآرامي المندائي (صبا)، بمعنى غطس، ارتمس، غط في الماء العذب الجاري.
- المغتسلة : أي الذين يتطهرون بالماء الحي، من كثرة استعمالهم للماء العذب الجاري للتطهر والتنظيف.

- شلماني : أي المسالم من الكلمة الآرامية المندائية (شلم) سلم مسلم المنقاد إلى الله مطلقاً.
- أبني نهورا : أي أبناء النور، حيث يؤمن الصابئة أن أصلهم من عالم الأنوار وقد وردت التسمية في الكتب الدينية.
- المصبتيين : جاءت من كلمة (مصبتا مة صبوتة) الآرامية المندائية، وتعني الصابغ المتعمد بالماء.
- أبناء الكشطا : وتعني أبناء العهد أو أصحاب الحق، وهي صفة أطلقت عليهم في الكتب الدينية.
- الصَبَّه : وهي الكلمة التي يطلقها عليهم مجاوروهم، وجاءت من كلمة (صَبو) الآكدية، وتعني سكبَوا الماء على جسدهم، أو غطَوا في الماء أثناء أداء طقوسهم الدينية، وكلمة (صبو) يتداولها العراقيون بكثرة في حياتهم اليومية مثل صبو الشاي، صبو سقف البيت، صبو الأكل، صبو الماء، وغيرها الكثير.
- وهناك تسميات أخرى أطلقت عليهم، ولكن الاسم الدقيق والمتعارف عليه والمحبب إلى نفوسهم، واسمهم الرسمي هوَ (الصابئة المندائيون) وتعني : المتعمدون والعارفون بوجود ووحدانية الحَيّ العظيم.

والإنسان في العقيدة المندائية يتكون من العناصر التالية :

١ الجسم (بغرا) : وعاء النشماثا (النفس)

٢ الروح (رواها) : وتمثل الغرائز والفعاليات.

٣ النفس (نشماثا) : وهي هبة الخالق عز وجلّ إلى الإنسان وجوهرته.

أما أسس الإيمان في دين الصابئة المندائيين فهي :

الإيمان بوحدانية الخالق. الإيمان بأن عالمنا هو جزء صغير جدًا من خلق الهيي ربي قدمايي. الإيمان بوجود خير يسعد البشرية، وشر متربص بها، وهم

يتصارعان في هذه الحياة، والنجاة من الشر وأعوانه هو الإيمان بعظمة الحي العظيم وملائكته الأطهار. الإيمان بوجود الحياة الأخرى، عالم الأنوار والسعادة الأبدية، ودخول هذه العوالم السرمدية من قبل الإنسان تأتي بواسطة أعماله الحسنة وطهارته وعفته، وتحسب له يوم الميزان. الإيمان بالمعرفة لأنها الطريق الموصلة إلى ربِّ الأكوان. الإيمان بأن أنبياء النور هم رسل للهيي ربي قدمايي، بعثهم للأمة المندائية على مدى التاريخ من أبونا آدم إلى أخر الرسل يهيا يهانا، مباركة أسماؤهم.

– من أين جاءت تسمية الصابئة المندائيين

من يطلع على الكتب الدينية المندائية لا يجد ذكر لكلمة الصابئة، أو الصابئين، أو الصابئون أو ، الصبه. وإنما يجد صفات كثيرة مثل المندائيين، أبناء النور، الأصفياء، الناصورائيين، وغيرها كصفات لهم، وهناك تسميات أخرى... وكذلك هناك تسميات وصِفات أطلقها عليهم مجاوروهم أو كتاب التاريخ، مثل المغتسلة، السابحة، الصابغين، أهل الكشطا (أهل العهد أو الحق)، اليحياويين (نسبة إلى النبي يحيى)، وهكذا... أما كلمة الصابئة فقد أطلقها عليهم القرآن الكريم في ثلاث آيات بينات. وقسمٌ من العرب يفسِّرون هذه الكلمة من ترك دينه، أي دين أجداده، واتبع ديناً آخر.

المندائيون لم يتركوا دينهم وتبعوا ديناً آخر... وعندما نادى الرسول محمد (ص) إلى اتباع الإسلام ديناً... قالوا لهُ: لقد صبأت يا محمد، وكانوا ينادونه بالصابي.

والمسلمون يقولون نحن أحناف، وعندما سأل الشاعر المعروف أمية بن الصلت الرسول الكريم محمد (ص) من أين جئت بهذا الدين يا محمد؟! قال إنه الحنفية، حنفية إبراهيم الخليل... فقال أميه بن الصلت: إني سبقتك إليها، لأنه كان حنفيًا أي من الأحناف المنتشرين في شبه الجزيرة العربية.

ويقول عدد من الباحثين إن الأحناف والصابئة حالة واحدة، ومذهب واحد... فهل يا ترى سموا بالصابئة لأنهم لم يتبعوا النبي إبراهيم الخليل الذي نادى أن يعبدوا الله عبادة خالصة دون وسيط، أم أنهم اتبعوا إبراهيم الخليل في بداية دعوته ثم ارتدوا عنه عندما طلب منهم التخلي عن الملائكة كوسطاء بينهم وبين الخالق، أو بسبب ختان النبي إبراهيم ونزوله دينيًا بسبب مرض في غلفته... ليس هناك دلائل مؤكدة في الوقت الحاضر، وقسم من الباحثين والمؤرخين يعتقدون أن اطلاق اسم الصابئة عليهم لأنهم من أتباع صابي بن شيت بن آدم.

ولكن من المؤكد أن كلمة الصابئة مشتقة من الفعل الآرامي المندائي (صَبا) التي تعني غطس، ارتمس، غط، اغتسلَ في الماء العذب الجاري، وهو ما يقوم به أبناء هذا الدين من فعاليات وطقوس دينية في الماء الجاري، وصبْ الماء فوق رؤوسهم وأجسادهم أثناء الصباغة، والرشامة (الوضوء) وقد أطلق عليهم كلمة (صبه) من مجاوريهم من الأقوام الأخرى كصفة على قوم، وكلمة صَبْ ومشتقاتها تستعمل لحد الآن وبكثرة من قبل العراقيين... وعليه أصبحت التسمية من طرفين، الكلمة الأولى وهي (الصابئة) أطلقها عليهم المجاورون من الأقوام الأخرى، وتم ذكرهم بهذه الصفة في القرآن الكريم، أما الكلمة الثانية (المندائيون) هي صفة القوم كما ذكرتها لهم كتبهم الدينية المقدسة، ولهذا اعتمدوا على تسمية الصابئة المندائيين... وحاليًا لا يمكن التخلي عن أي من هذه الصفتين أو المسميين، لِمَا لهما من دلالة تاريخية ودينية لا يمكن الاستغناء عن إحداهما، ولا سيما أنهم عرفوا بهما من قِبَل مليار ونصف مسلم، وعاشوا بين العرب منذ مئات القرون، وعرفوهم بهذه التسمية، والكثير منهم يجهلون كلمة المندائيين الواردة في الكتب الدينية المقدسة، التي تعني العارفين، أو أهل المعرفة، أو عرفوا دين الحق بالعقل والمعرفة الذي سبق الإيمان. وهكذا يتم التعريف بهذه التسمية، وهناك من يعترض على بقاء تسمية الصابئة لأنها وردت من الموروث الإسلامي ويعتبرونها أسلمة، وهذا غير صحيح، ولكن الحق يقال إن الصابئة المندائيين عاشوا مع إخوانهم المسلمين في بيئة واحدة،

وتأثروا بهم وبثقافتهم وبكثير من الصفات والقيم والمثل والعادات والتقاليد ، مثلما تأثر المسلمون بالعقيدة والموروث الصابئي عبر مئات القرون ، لأن الثقافات تتلاقح وتؤثر وتتأثر بعضها ببعض ، وينهل الجميع من التراث الإنساني من الشعوب المتجاورة ، لا سيما وأن المنطقة منبع ومهد لجميع الأديان السماوية الموحدة بالله ، و تمكن الصابئة عبر هذا المزيج من الثقافات والأديان من المحافظة على الصفات الاصيلة لدينهم وطقوسهم وشعائرهم ، وكتبهم الدينية المقدسة ، ولكن من الطبيعي أن يتأثروا بالعادات الاجتماعية ، والتراث المشترك بالمعايشة والتاريخ المشترك والمصير الواحد.

– الصابئة المندائيون غرس التوحيد الأول

قلنا إن كل الأدلة تثبت أن الدين الصابئي المندائي هو غرس التوحيد الأول ، وهو نبع ومهد الأديان السماوية ، وأن أركان هذا الدين الأساسية تتمثل بالتوحيد بالحي العظيم ، والتعميد ، والصوم ، والصلاة ، والصدقة ، وهي الأركان الأساسية تقريبًا لكل الأديان السماوية الأخرى ، وتفرد الصابئة المندائيون بأن أول أنبيائهم هو أبونا آدم رأس السلالة البشرية ، وتبعه شيتل (شيت) ، وإدريس (دنانوخت) ، وسام بن نوح ، ويهيا يهانا (يحيى بن زكريا) ، وهناك من يؤكد على ذكر النبي إبراهيم الخليل المذكور في (الكنزا ربا) باسم بهرام ربا ، أي إبراهيم الكبير ، وقد أنزل الحي العظيم الصحف الأولى أو السيادر على أنبياء الصابئة وجمعت هذه الصحف بالكتاب المقدس (الكنزا ربا) (الكنز العظيم).

ويذكر الحي العظيم ملك النور السامي في الكتاب المقدس بكل اجلال وتعظيم ، وبأسمائه الحسنى : باسم الحيّ العظيم : ﴿ **يا ربّ الأكوان جَميعًا ، مُسَبحٌ أنتَ ، مُباركٌ ، مُمجّدٌ / معظَّمٌ ، موقرٌ ، قَيوم ، العظيمُ السّامي. ملكُ النورِ السّامي ، الحنانُ التوابُ الرؤوفُ الرّحيم. الحي العظيم... لا حدَّ لبهائه. ولا مَدى لضيائهْ... المنتَشرةُ قُوّتُه. العظيمةُ قُدرَتُه... هو العظيمُ الذي لا يُرى ولا يُحد... لا شريكَ لَهُ في سُلطَنِه. ولا صاحبَ لَهُ في صولجانِه** ﴾. والحيّ مزكى.

لقد وردت إشارات واضحة في الكتب السماوية للأديان الأخرى ما وردَ في كتاب (الكنزا ربا) المقدس من تعظيم ربِّ السماوات والأرض ، وقداسة أنبيائهم وتعظيم ذكرهم، حيث ذكرَ في إنجيل لوقا ومتي (الحق أقول لكم، لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان...).

وقد ذكره الرسول الكريم محمد (ص) بكل خير ومحبة حيث قال : (ما من أحد من بني آدم إلا أخطأَ أو هَمَّ بخطيئة إلا يحيى بن زكريا).

وذُكرَ في آية من سورة البقرة :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إليه مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1].

وذُكِرَ نبيُ الله يحيى بن زكريا في سورة مريم :

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾[2]. بمعنى كتاب (الكنزا ربا) وتعاليمهُ بقوة يحيى.

وفي سورة النساء :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾[3].

كذلك ما جاءَ في سورة الأنعام من ذكرِ للأنبياء المبجلين إبراهيم، نوح، زكريا، يحيى وكل أنبياء الله الصالحين :

---

١ القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٢٨٤

٢ القرآن الكريم: سورة مريم، الآية ١٢

٣ القرآن الكريم: سورة النساء، الآية ١٣٦

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1].

كذلك في سورة العنكبوت :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

بمعنى على الجميع أن يؤمنوا بما أنزلهُ الله عليهم مِن كتب مقدسة، تدعو إلى التوحيد من أهل الكتاب، ومنهم الصابئة المندائيين، وكتابهم المنزل الذي يدعو إلى توحيد الخالق الله ملك النور السامي.

وذُكِرَ في سورة آل عمران :

﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[3].

وفي سورة الأنعام هناك دلالة قوية على الدين الصابئي المندائي وكتاب (الكنزا ربا) حيث جاء في الآية رقم ١٥٦: ﴿ أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾[4].

---

١ القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآيات ٨٣ ـ ٨٦

٢ القرآن الكريم: سورة العنكبوت، الآية ٤٦

٣ القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآيتان ١١٣ـ ١١٤

٤ القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية ١٥٦

حيث فسَّر عدد من الفقهاء والمفسرين أن الطائفتين هم الصابئة المندائيون واليهود ، وأن الآية الكريمة تتحدث عن كتابي (الكنزا ربا) والتوراة ، لأن الأخوة المسيحيين يؤمنون بكتاب التوراة ، ويسمونه العهد القديم ، وقد ألحقوا الإنجيل بالتوراة ، وسموه الكتاب المقدس ، قبل ظهور الإسلام ، ويعتبرون أنفسهم مكملين للدين اليهودي ، وهذا يعني أن الكتب التي يتحدث عنها القرآن في هذه الآية هي كتاب (الكنزا ربا) ، والكتاب المقدس لليهود والنصارى.

obeikan.com